Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الواقع خيالاً أو محض خيال، ومن الأحداث الفعلية تلفيقات مُركبة يلفّها الكذب لفّاً، ومن الأقوال خرافات لا تصدق إطلاقاً.

وهذا العصر معروف بسطوة رجال الدين ودورهم في المحاكمات واستصدار القرارات وتحديد مدد العقوبات والسجن، ودعوتهم الصريحة جداً إلى تنصير المسلمين بكل الطرق والوسائل أو تعريضهم للاضطهاد والطرد، ويروى -على سبيل المثال- أن راهباً في عهد فيليب الثالث اسمه لويس ألياجا- 1560، 1630- أصدر قراراً بإرغام المسلمين على التنصر أو الخروج من أسبانية، وقد اُتبعت أساليب جهنمية من أجل تنفيذ هذا القرار. يضاف إلى ذلك أن العصر كان عصراً لفساد الأخلاق، وشيوع الاحتيال والسرقة والقتل والنهب، كما كان عصراً لفساد السياسة وأهلها، وتشرذماً لسلطة النبلاء ودورهم في الحياة العامة، وطغياناً لسلطة الملاك الممولة بالعدالة الزائفة والنفاق الاجتماعي، وكان أيضاً أرضية خصبة لتقاسم السلطات والأمكنة والنفوذ تبعاً للقوة والمقدرة على الدهاء والمراوغة والدس والكذب.

في هذا المناخ عاش سرفانتس الذي لم تكن حياته أقل بشاعة في صورتها الواقعية من صورة عصره، فقد عاش مطروداً من بلده أسبانية، بسبب قتله لمبارزه بطريقة غير مشروعة، والرضا بالنفي مختاراً في الأراضي الإيطالية بعدما حكم عليه بالسجن، وبقطع يده اليمنى، غير أن يده اليسرى هي التي قُطعت في إحدى المعارك، فاعتبر ذلك وساماً علقته الجندية على صدره، وحين عاد إلى وطنه بعد سجن دام خمس سنوات في الجزائر، تزوّج من غانية فلم ينجح زواجه، ورزق بابنة غير شرعية جرّت عليه الويلات فيما بعد بسبب نزواتها وعلاقاتها مع الرجال تحديداً، واشتغل في فرق تحصيل الضرائب والمكوس والاستيلاء على الأملاك، وطعن في أخلاقه ونزاهته، ففُصل من عمله ثم أعيد إليه، وبعدئذٍ طلب هو إعفاءه من هذا العمل الاشتباكي مع الآخرين، واتهمت كتابته بالخفة والتهريج، ولهذا لم تحظ بالتقدير من قبل الأدباء والنقاد المعاصرين له، ولذلك عاش في فاقة، وتكسّب من وراءه كتابة النصوص الشعرية، وجرّت عليه أخته بعض المشكلات بسبب عشقها وغرامها للآخرين الذين لم يقدروها حق التقدير، فقد حملت سفاحاً، وأنجبت ابنة غير شرعية، عاشت وإياها بقية حياتها، وهي تكسب قوتهما من أعمالها المنزلية في بيوت الآخرين (طباخة، كاوية ثياب، منظفة، وغسّالة، مربية للأولاد.. الخ) وقد كانت حال أسرته عموماً بائسة جداً، وزاد موت أخيه الميسور حياته الفقيرة فقراً لأن دائني أخيه جاؤوا